المحور السادس: المالك الوطنية:

I.أصولها :

لا يعرف بالضبط لأي فترة من فجر التاريخ تعود مملكتا نوميديا وموريطانيا، حيث اختلفت الآراء فيما يخص زمن قيام الممالك الوطنية، التي تحدثت عنها النصوص الاغريقية واليونانية بشكل عرضي في إطار حديثهم على حروبهم ضد قرطاجة، فهناك من يرجعها الى القرن الرابع قبل الميلاد .

وفي هذا الصدد نشير إلى أنه بناء على كتابات المؤرخين القدماء والمحدثين، فإن منطلقات الدولة الماسيلية الأولى انت حول المدراسن، وهذا في شكلها القبلي، ويعود ذلك إلى حوالي نهاية القرن الرابع ق.م، وعندما توفرت لها الشروط الملائمة لتكوين الدولة ، انتقلت بعد ذلك إلى سيرتا وهناك ظهرت في شكلها الملكي الذي عرفت به منذ القرن الثالث ق.م، وأسند تأسيسها إلى الأسرة الماسيلية التي ينتمي إليها ماسنيسان وأحفاده[250]، ويشر كذلك ستيفن غزال لظهور هذه الممالك إلى القرن الرابع ق.م [251]، وقد أخذ عنهم ذلك حتى مؤرخين محليين عدة من خلال أن اسم النوميد ظهر ككيان سياسي على خريطة البحر الأبيض المتوسط منذ أواخر القرن الرابع قبل الميلاد[252]، ومن جهته يذكر "بوليبيوس" بأن المملكة النوميدية كانت قد وجدت منذ نهاية القرن الرابع ق.م [253].

وذلك استنادا الى ما ورد في الكتابات الكلاسيكية: مثل ديودور الصقيلي الذي يذكر ان أغاتوكليس عندما نقل الحرب الى شمال افريقيا (310 ق.م)، قد توغّل في الاراضي النوميدية المجاورة للأملاك القرطاجية، وقد حاول كسب ود الملك ايليماس وطلب مساعدته في عاصمته دوقا[254].

ويعد ايليماس الذي اشار اليه ديودور الصقلي هو احد أجداد ماسنيسا الأول ويعتبر أول من اعتلى عرش نوميديا الشرقية[255]، ويرجّح أثريا أن المدراسن الذي يعود الى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد يعتبر منطلق الدولة الماسيلية الاولى التي انتقلت بعدها الى سيرتا في القرن الثالث قبل الميلاد[256].

ويرى بعض المؤرخين المحليين نظرة استعمارية عنصرية تهدف الى تقزيم المغرب والتي مال ميلتها حتى اقلام محليين.

ويرى بعض المؤرخين المحليين بأن الممالك الوطنية تعود الى فترة اقدم من القرن الرابع والثالث قبل الميلاد بكثير، ويرجِّح بأنها تعود الى القرن التاسع قبل الميلاد[257]، نظرا لرواية جوستينيان الذي يروي قصة الملك النوميدي (هيرباص) الذي طلب الزواج من عليسا ورفضت[258]، ويذكر ان هذه الأخيرة عند وصولها الى المغرب لم تجد فراغ سياسي كما يروي البعض بل انها وجدت كيانا سياسيا لجات اليه في طلبها قطعة ارض، وأنها قد خضعت بموجب ذلك الى ضريبة كانت تدفعها سنويا للأهالي وانها لم تستطع التخلص منها رغم محاولاتها الى غاية القرن الخامس قبل الميلاد، وذلك يثبت ان النظام كان محكما ويدل ذلك ايضا على استمرار هذا النظام، وكذا التطور السياسي والاقتصادي الذي عرفته مملكة نوميديا في القرن الثالث ق.م والذي يبعث على الاعتقاد بوجود نظم في شتى المجالات سابقة لهذا القرن[259]، ويذكر ايضا ما ذكر جوستنيوس عن الملك الماوري الذي استعان به حنون لاسترجاع السلطة في قرطاجة حسب ما ورد على لسان كامبس[260]، بالإضافة الى ذلك تظهر نقيشة وليلي التي تتحدث عن الشفطية في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد مما يدل على وجود نظام بلدي منظم يرجح انه تطور لنظام موغل في القدم ولا يرجع الى القرن الثالث قبل الميلاد كما اورد الرأي الأول[261].

II.الإطار الجغرفي:

يجمع المؤرخون القدماء والمحدثين على أن نوميديا كانت تشتمل على تكتلات قبلية مثل الماسيل والمازيسيل[262]، حيث كانت قبائل المازيسيل تتوضع في الغرب الجزائري الحالي. أما قبائل الماسيل فكانت مضاربها تشمل الشرق الجزائري وشمال تونس فيما عدا أراضي الدولة القرطاجية، ولم تكن لتلك القبيلتين حدود معلومة فيما بينها، بل كانت تتراوح بين مد وجزر[263].

ويؤهل هذا الموقع بلاد المغرب عموما لأن تكون عرضة لتأثيرات أوروبية وشرقية واضحة، الأمر الذي يجعلها تتأثر بالأحداث المتوسطية الكبرى ، وتنعكس عليها نتائج تلك الأحداث انعكاسا جليا.

1.موريطانيا:

الاثار والنصوص تسمح لنا بإعادة أصولها إلى القرن الرابع ق.م، فهذا يوستينوس يتحدث عن ملك ماورى استعان به حنون عندما حاول الاستلاء على السلطة في قرطاجة. وفي أواخر القرن الثالث كان وجود

مملكة موريطانيا حقيقة تاريخية، قدم لنا أحد ملوكها: باغا"Baga" معاصر وحليف ماسنسان خلال الحرب البونية الثانية (264). وتمتد هذه المملكة من نهر مالوشا (ملوية) الى المحيط الأطلسي[265].

و يعد اقدم ملوكها باغا، ومن أشهر ملوكها بوخوس الاول[266] الذي تحالف مع روما ضد يوغرطة واتى على ذكره سالوست[267]، وبوخوس الثاني الذي تحالف هو الآخر مع روما ضد يوبا الأول، وحصل بموجب ذلك على اراضي من نوميديا الغربية بعد تحالفه مع قيصر وانتصار هذا الأخير وضمه مملكة يوبا الأول ومدّ حدود بلاده الى غاية الوادي الكبير، وعندما أصبحت مملكة موريطانيا شاغرة دون وريث بعد وفاة بوخوس الثاني سنة 33ق.ممن نصيب يوبا الثاني ابن يوبا الاول والذي خلفه ابنه بطليموس 23ق. م [268]، والحال أن الأخير استدعاه كاليغولا سنة 39ق.م وقتله في سنة 40ق.م، وأعلنت موريطانيا منذ ذلك مقاطعة رومانية، وقسِّمت في عهد كلوديوس 43ق.م الى مملكتين موريطانيا الشرقية وموريطانيا الغربية[269].

2.نوميديا الغربية (مازيسيليا Maseasyle):

نسبة إلى قبائل المازيسيل ، الذين ظهروا كقوة في افريقيا منذ أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الثاني قبل الميلاد، وان كنا لانعرف شيئا عن تشكل هذه المملكة التي دخلت في حسابات المتنازعين خلال الحرب البونيقية الثانية[270].

كانت اول أخبار وصلتنا عن مملكة المازيسيل تعود إلى حوالي 213ق.م، حيث يذكر بولوبيوس بأن القرطاجيين كانت تربطهم صداقة متينة مع الملك سيفاكس "Syphax" قبل هذه الفترة، وأن المازيسيليين كونوا جزءا كبيرا من الجيش القرطاجي في اسبانيا وبلاد المغرب(271).

تعتبر حدود نوميديا الغربية متغيرة وغير ثابتة في مختلف الفترات التاريخية عدا الشمالية منها التي يحدها البحر الأبيض المتوسط، أما حدودها الشرقية والغربية والجنوبية فقد كان يتحكم فيها قوة وضعف جيرانها، وهي تقع الى الغرب من مملكة موريطانيا والى الشرق من مملكة ماسيليا والى الشمال من أراضي قبائل الجيتول.

ويشير استرابون إلى أن أراضي قبائل المازيسيل كانت تمتد من حدود القبائل المورية غربا والتي يفصلها عنها نهر الملوشة "الملوية" وتنتهي حدودها الشرقية عند رأس تريتون "Cap. Treton"وعاصمتها سيقا[272]، وامتد

المازيسيل شرقا من الوادي الكبير ضاما قيرتا الى غاية وادي ملوية[273]، ويذكر محمد الهادي حارش أن حدودها الجنوبية غامضة تصل الى جيتوليا، وأن أقدم ملوكها سفاكس، وعاصمتها سيقا وقيل قيرطا حتى انه قد ظهر مصطلح مازيسيل الغرب العاصمة سيقا ومازيسيل الشرق العاصمة قيرطا ويذكر في ذلك الشأن تيتوس ليفيوس ان قيرطا كانت مازيسيلية وينفي كامبس ذلك[274]، لكن نواة قوة المازيسيل كانت تقع في المناطق الغربية في الاقليم الوهراني، حيث توجد العاصمة الحقيقة للمملكة.

3.نوميديا الشرقية (ماسيليا):

نسبة إلى قبائل الماسيل التي يبدوا أنها لعبت دورا هاما وأحيانا حاسما على المسرح السياسي الافريقي عشية وغداة اقصاء قرطاجة[275].

غطت مملكة نوميديا الشرقية في القرن الثالث ق.م الشرق الجزائري وغرب تونس حاليا، ولكن حدودها كانت متغيرة وخاضعة للوضعية السياسية والعسكرية التي تغلب في افريقيا الشمالية، وهي محدودة من الشرق بقرطاجة ومن الغرب بمملكة المازيسيل ومن الجنوب بجيتوليا، أقدم ملوكها الملك ايلماس، كما ينسب بوليبيوس قبر المدراسن الى هذه القبائل والذي يؤرخ بنهاية القرن الرابع قبل الميلاد، يذكر بلين الكبير أن القبائل الماسيلية كانت تنزل داخل منطقة سيرتا وإفريقيا وفيما بين الوادي الكبير غربا وخليج السرت شرقا[276].

تم توحيد المملكتين نوميديا الشرقية ونوميديا الغربية على يد ماسنسان في 203 ق.م، الذي حمل شعار " افريقيا للافارقة"، بعد أن انتصر هذا الأخير على سفاكس ملك نوميديا الغربية، وباعتراف روما بمسنسان ملكا حليفا على أراضي مملكتي المزيسيل والماسيل معاً، ومنحته شارات الاعتراف به حليفا رسميا لروما وهي الصولجان والعباءة الرومانية والكرسي، وأصبحت مملكة نوميديا تمتد من الملوية غربا الى السرت الكبير شرقاً، وفي هذه المملكة المترامية الأطراف حكم وخلفاؤه ما يقارب القرن والنصف [277].